الخوف من غير الله تعالى يجلب لصاحبه الهلع والجزع ويلقي عليه الذل والمهانة، اما الخوف من الله تعالى فانه يجلب لصاحبه الامن والطمأنينة، ويزرع في قلب صاحبه العزة والكرامة؛ كما قال تعالى: {وَحَاجَّهُ قَوْمُهُ قَالَ أَتُحَاجُّونِّي فِي اللَّهِ وَقَدْ هَدَانِ وَلَا أَخَافُ مَا تُشْرِكُونَ بِهِ إِلَّا أَنْ يَشَاءَ رَبِّي شَيْئًا وَسِعَ رَبِّي كُلَّ شَيْءٍ عِلْمًا أَفَلَا تَتَذَكَّرُونَ (٨٠) وَكَيْفَ أَخَافُ مَا أَشْرَكْتُمْ وَلَا تَخَافُونَ أَنَّكُمْ أَشْرَكْتُمْ بِاللَّهِ مَا لَمْ يُنَزِّلْ بِهِ عَلَيْكُمْ سُلْطَانًا فَأَيُّ الْفَرِيقَيْنِ أَحَقُّ بِالْأَمْنِ إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ (٨١) { الَّذِينَ آمَنُوا وَلَمْ يَلْبِسُوا إِيمَانَهُمْ بِظُلْمٍ أُولَئِكَ لَهُمُ الْأَمْنُ وَهُمْ مُهْتَدُونَ} [الأنعام: ٨٠، ٨١، ٨٣].

ثانيا: تأثير هذه العقيدة في الحياة

لعقيدة التوحيد آثارا عظيمة على حياة المسلم. تنقله من الظلمات إلى النور، وتميز حياته عن حياة الملحد والمشرك. تتجلى في ما يأتي:

١- يمكن المرء من العلم بان السموات والأرض لها رب يكلؤها برعايته، ويرعى من فيها بعنايته، فيرزقهم ويربيهم. ويعلمه بان ليس في هذا الكون شيء يقوم بنفسه. أما المشرك فانه يعتقد بوجود من يشارك الرب سبحانه في الرزق والتدبير للكون.

٢- الإيمان بالتوحيد ينشيء في الإنسان العزة والأنفة، أما المشرك فيرى غيره قادرا على نفعه وضره، فيتضرع إليه، ويرتعب منه .

٣- الإيمان بالتوحيد ينشيء في المرء التواضع. بخلاف الملحد الذي يبطر إذا حدثت له نعمة عاجلة، ويشمخ بأنفه على غيره .

٤- المؤمن يرى أن النجاة والفلاح لا تكون إلا بتزكية النفس، والعمل الصالح. أما المشرك فيقول: إن ابن الله قد أصبح كفارة عن ذنوبنا، أو نحن أبناء الله وأحباؤه، فلن يعذبنا بذنوبنا، أو نستشفع بكبرائنا واتقيائنا، أو بتقديم النذور والقرابين إلى الإله.

٥- المؤمن لا يتسرب إليه اليأس، أما المشرك والملحد فلا يقوى قلبه على الوقوف بالمحن، وقد يفضي اليأس بهم إلى ألانتحار .

ما يستحيل ويجوز ويجب في حق الله تعالى

فان من جملة علم التوحيد ومعرفة الله تعالى أن به يعلم الواجب والمستحيل والجائز في حق الله تعالى، وهي أربعة أقسام: واجب، ومستحيل، وجائز، وما كان جائزا من وجه مستحيلا من وجه.

١- الواجب في حقه : هو كل ما لا يتصور عدمه بالنسبة إلى الله تعالى، وثبت مع ذلك كماله بلا نقص فيه بوجهٍ من الوجوه، فمثلاً : الحياة من الواجب في حق الله تعالى لعدم تصور وجود اله بلا حياة، وصفة الحياة صفة كمال لا نقص فيه، وكذلك الحال بالنسبة لصفة العلم فهو من الواجب، والقدرة من الواجب ، القوة من الواجب ، والأمثلة في هذا كثيرة . مثل قوله تعالى: {اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْحَيُّ الْقَيُّومُ} [البقرة: ٢٥٥].

٢- المستحيل : هو كل ما لا يتصور وجوده في حق الله تعالى، وكان نقصا لا كمال فهو ممتنع في حق الله تعالى، كالموت، والجهل، والنسيان، والعجز، والعمى، والصمم، ونحوها، كما قال تعالى: {وَتَوَكَّلْ عَلَى الْحَيِّ الَّذِي لا يَمُوتُ}، وقوله عن موسى {فِي كِتَابٍ لا يَضِلُّ رَبِّي وَلا يَنْسَى}، وقوله: {وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُعْجِزَهُ مِنْ شَيْءٍ فِي السَّمَاوَاتِ وَلا فِي الأَرْض}، وقوله: {أَمْ يَحْسَبُونَ أَنَّا لا نَسْمَعُ سِرَّهُمْ وَنَجْوَاهُمْ بَلَى وَرُسُلُنَا لَدَيْهِمْ يَكْتُبُونَ}.

فالضابط في النوعين الأول والثاني: أن كل كمال فهو من الواجب ، وكل نقص فهو من الممتنع في حق الله عز وجل.

٣- الجائز في حق الله تعالى هو : ما جاز وجوده وعدمه بالنسبة للخالق .

مثل : خلق شيء معين ، كخلق الذباب مثلاً أو خلق السماوات وخلق الأرض، هذا من الأمور الجائزة ، لأنه يجوز أن لا يخلق الله هذا الشيء ويجوز أن يخلقه ، لو لم يخلقه لم يكن ذلك نقصاً ، ولو خلقه لم يكن نقصاً الاستواء على العرش كذلك النزول على السماء الدنيا كذلك من الأمور الجائزة . كما قال تعالى: {اللَّهُ خَالِقُ كُلِّ شَيْءٍ وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ وَكِيلٌ} [الزمر: ٦٢].

فإذا قال قائل : إن إثبات الجائز ممنوع لأنه إن كان وجوده كمالاً كان عدمه نقصاً ، وإن كان عدمه كمالاً كان وجوده نقصاً فلا يتصور شيءٌ جائزٌ في حق الله ؟

فالجواب : أن نقول : هو كمالٌ في حال وجوده نقصٌ في حال عدمه إن كان من الموجودات أو هو كمالٌ في حال عدمه نقصٌ في حال وجوده ، فمثلاً : إذا اقتضت الحكمة أن يوجد هذا الشيء فوجد صار كمالاً ووجوده قبل اقتضاء الحكمة وجوده نقص وإذا اقتضت الحكمة عدمه كان وجوده نقصاً ووجوده في حال اقتضاء الحكمة عدمه نقص .

٤- ما كان جائزا من وجه مستحيلا من وجه

وهو كل ما كان كمالاً في حال، ونقصا في حال لم يكن جائزة في حق الله، ولا ممتنعا على سبيل الإطلاق.

فلا تُثْبَت له إثباتا مطلقا، ولا تُنْفَى عنه نفيا مطلقا، بل لا بد من التفصيل، فتجوز في الحال التي تكون كمالاً، وتمتنع في الحال التي تكون نقصا، وذلك كالمكر، والكيد، والخداع، ونحوها، فهذه الصفات تكون كمالاً إذا كانت في مقابلة من يعاملون الفاعل بمثلها، لأنها حينئذٍ تدل على أن فاعلها قادر على مقابلة عدوه بمثل فعله، أو أشد، وتكون نقصا في غير هذه الحال، ولهذا لم يذكرها الله تعالى من صفاته على سبيل الإطلاق، وإنما ذكرها في مقابلة من يعاملونه ورسله بمثلها، كقوله تعالى: {وَمَكَرُوا وَمَكَرَ اللَّهُ وَاللَّهُ خَيْرُ الْمَاكِرِينَ} وقوله: {إِنَّهُمْ يَكِيدُونَ كَيْداً وَأَكِيدُ كَيْداً}.

الفصل الثاني: النبوة

حاجة العقل الإنساني إلى هدي النبوة

الرسالة ضرورية في صلاح العبد في معاشه ومعاده ، ولولا الرسالة لم يهتد العقل إلى تفاصيل المنافع والمضار في المعاش ، وبناء على ذلك نعلم ان العق لا يستقل في معرفة ما تقدم؛ وذلك لتفاوت واختلاف الادراكات لدى العقول، فان ما يراه بعض الناس ضارا يراه البعض الاخر نافعا، وما يعتقده البعض أنه حق يعتقد الاخرون أنه باطل؛ لذلك لابد من حاكم معصوم يحكم ويفص بين تلك الاختلافات